خيانة
بالصدفة
قصص
إسلام درويش

## إسلام درويش - خيانة بالصدفة

"والتقينا محض صدفة سوف ألعنها سنين ..
إذن ، هل كان يجب أن أتركها وأمضي ؟ "

أعود من جديد إلى منزلي ، أشتاق إليه جدًا ليس أي اشتياق ، أعتقد أنني أحببته أكثر وأكثر من ذي قبل ، أعرف أنني بالكاد أتحمل مرور العشرين يومًا كي أتمكن من دخول أسبوع الإجازة بعدهم فأعود محملًا بالحنين لاعنًا غربتي .. أعتقد أن الحنين إلى المنزل أصبح أقوى وأقوى من ذي قبل ، أعرف أنني أصبحت في حكم المجنون وأنا أعد الساعة تلو الساعة واليوم تلو اليوم لأتمكن من لقاء خطيبتي ... نعم ، لقد ودعت نادي جميل اسمه العزوبية ودخلت إلى نادٍ أجمل اسمه نادي الخاطبين ، لقد تم هذا مؤخرًا ، لم يعد لدوافع رجوعي شكل محدد ولكن أصبح الرجوع هو حلم وأرق ورغبة تذهب كل تركيزي ، الدافع معقد وجميل عندما يأتي من أعماق الصدر مصحوبًا برعشة طفيفة دافئة ، لاحظ زملائي في العمل مدى تأثري في واجباتي العملية ولم يعلقوا واقتنعوا أنها فترة وسوف أعود لسابق عهدي ؛ نشيطًا ، ملتزمًا ، متقنًا ، كُفئًا فيما يوكل إليّ ، احترمت فيهم هذا وأقدره لهم .

صورتها التي تصاحبني على خلفية شاشة الموبايل أينما ذهبت والتي تبتسم لي كلما فتحت اللاب توب أصبحت سلواي ومؤنسي وشريكي الافتراضي في محادثاتي الليلية العبثية ، أصبحت الصورة مؤلمة حقًا فهي وإن كانت باسمة فهي ساكنة لا حركة ولا صوت حتى وإن امتدت مكالماتنا اليومية لساعات فإن الصوت صوت فقط عبر الموبايل كما الصورة صورة فقط عبر خلفيته ، حتى وإن تمكنت من التواصل عبر الفيديوكول أو الفيديوتشات فإن الروح الحية ما زالت ناقصة .

في ذاك النهار ، أنظر في ساعتي كل خمس دقائق ، إنني مسافر الليلة ... يظهر اسمها على الشاشة تتصل بي لتطمئن متى سأعود (أعرف مضمون المكالمة) ، لم أرد .. أمهل نفسي بعض الوقت لكي أنتهي من عمل ما في يدي ، أسرع لأهاتفها ، تبدو نغمة صوتي فرحة وتبدو نغمة صوتها متراقصة طربة ، أشعر بأنني أغني لها .. أحبها ، أشتاقها ، كل هذه المعاني معًا وأكثر ، أشعر بها وهي تتلقفني بحرارة من بعيد وتغني أغنيتي أجمل دويتو على مر العصور ، أغمض عيني فأراها تنتظرني عند محطة الوصول في حالة فقدان للوجود ، تنكر هذه الأبصار التي تراقب امرأة مجنونة لا تهدأ أبدًا .. ذهاب وإياب في خط مستقيم واحد ، لا تمل ولا تتعب ، يعتقدون أن الأرض ستنفجر ينبوعًا زمزمًا ليسكن طفل تحمله في صدرها عند الصفا أو عند

المروى ، لا تهدأ لأن الأرض لم تنفجر بينبوع اللقاء ، لم ترى الأوتوبيس حتى الآن والطفل يعاني ... أراها جليًا في هذه الحالة ، نعم أراها ... أخيرًا ، أستفيق من أغنيتنا ومن رؤياي لأخبرها في نهاية المكالمة أنني سأغادر عند الثالثة صباحًا ، أودعها بقبلة عابرة للأقمار الصناعية ... تضحك وتأبى أن تردها .

لم تكن ظروف العمل الاستثنائية والتي أجبرتني أن أستمر في العمل لمدة أربعين يومًا متواصلة بهذا السوء الذي تصورته عندما وصلت أخيرًا إلى محطة الأوتوبيس وكما يقولون أسابق الريح ، وكأنني حبست كل هذه المدة ليكافأ صبري بفردوس العودة ، ارتعشت قليلًا عندما وضعت قدميّ على أول درجات الأوتوبيس ، كان التكييف السبب أو سببًا آخرا لا أعرفه أصابني مؤخرًا ، ستزداد الرعشات تدريجيًا مع الرحلة ... أتجنب مهاتفتها في مثل هذا الوقت ولكني كسرت كل القيود والقناعات الأخلاقية التقليدية والمحافظة والتي أتمسك بها وكلمتها ، أنا الآن في حكم الزوج ولا مانع أن أتحدث معها الثالثة أو الرابعة صباحًا ، هي لم تنم ولن تفعل حتى أصل .

جلست في الكرسي قبل الأخير جهة النوافذ مصطحبًا صوتها ، تقدم الركب واستغرقت في المكالمة وأنا أنظر إلى الخارج صحراء تخترقها بعض العربات المسافرة من حين إلى حين ، أشعر بأنني بعيد جدًا عن البشر مع

صوتها في فضاء يمنحنا الحرية والخصوصية والاختباء عن عيون المختلسين ، لا أعرف عن ماذا نتحدث ولكن كلها روافد تصب في حقيقة قريبة أكثر مما نتخيل انتظرناها كثيرًا ، إنها إجازة زواجنا .

وها أنا ذا عائد ... لا شك أن القاهرة تزينت وتهيأت لاستقبالي ، أكاد أرى أضواءَها من هنا ضاربة في عمق الصحراء ، لا شك أن يوم الثلاثاء القادم عطلة رسمية لكافة الجمهورية ، لا شك أن جوابات الدعوة قد وزعت على الـ ٩٠ مليون ، إنها الحقائق غير القابلة للنقاش أو الجدال .. أخيرًا !

أكره الفلسفة عندما أتحدث معها ، أكره كذلك المنطق إذا أخرجني من صحرائي وهي ، يتسلل الوقت كعادته عندما أكتشف أن معظم الركاب حولي غادروا ، لم أنتبه إليهم حينما ركبوا ولا حينما غادروا ، ربما لم يكن حولي ركاب من الأساس وأن الرحلة بدأت بهذا العدد . أخرج ثانية إلى صحرائي الدافئة وأطلب منها أن تنام لتكون في حالة جيدة عند مقابلتي في الصباح ، أودعها بقبلة عابرة للصحراء الشرقية ... تضحك وتأبى أن تردها .

♣♣

"والتقينا محض صدفة سوف ألعنها سنين ..
إذن ، هل كان يجب أن أتركها وأمضي ؟ "

بالتأكيد يجب أن أمضي ، انتظرت قليلًا ، حاولت النوم ، استأذنتها ، تركت مقعدي ، دخلت الحمام ، غسلت وجهي ، استأذنتها ، عدت إلى مقعدي ... العدد يتضاءَل تدريجيًا كما ألاحظ ، هذه المدينة وقراها السياحية على شاطئ الأحمر هي قبلة الشباب من المحافظات المجاورة والتي توفر لهم فرص العمل بالإضافة إلى شباب المحافظات الأخرى البعيدة نوعًا ما أمثالي ... العدد يتضاءَل تدريجيًا ويبدو أن النصف الخلفي من الأوتوبيس قد حُجز لشركة ما لنقل عمالها إلى مدنهم على طول الطريق ، استمرت عملية التفريغ تدريجيًا حتى أصبحت وحيدًا في النصف الخلفي من الأوتوبيس ، هذه الآنسة والتي تجلس بجانبي لا بد من أنها ستنزل في أقرب محطة أو التي تليها أو التي تليها، لم تنزل .. مرت ساعتان أو أكثر قليلًا ، بدأ الليل في الاختباء قليلًا وبدأت السماء تتلون قليلًا ، أربع ساعات باقية ، أحاول النوم مجددًا ، فشلت مجددًا ... هل من المعقول أن أبدأ معها الحديث ؟ - جارتي في المقعد ، لا بد من أنها مضيفة في أحد الفنادق، ملابسها وهيئتها تخبرني بذلك ، لست متأكدًا ، لابد إنها هي الأخرى قاهرية ... لم تنزل مع الفوج الذي نزل تدريجيًا قبل الآن ، مكالمة قصيرة جدًا أخبرتني أنها تعمل في عمل له علاقة بطبيعة عملي وربما بالشركة التي أعمل بها ،

لم تكن مضيفة ... أربع ساعات باقية ، لا بد أن أبدأ معها الحديث - جارتي ... لم أفعل وهي لم تفعل .

التقت عيوننا فجأة ، صدفة ... تجاهلتني ، تجاهلتها . أخرجت بعض البسكويت ، تظاهرت بالأكل ، أدخلت الباقي في شنطة يدها ... أخذتُ زجاجة المياه ، تظاهرتُ بالشرب ، وضعتُها جواري ... أربع ساعات باقية والصبح يكنس ما بقي من آثار الليل وأحاديثه وصحاريه وأغانيه ، الصبح شبح يهددني ، يقتل ويقتل ويقتل هذه المشاعر التي خرجت بها ، الصبح فتنة ، الصبح فضيحة ، الصبح خيانة .

التقت عيوننا ليس فجأة ، ليس صدفة ... لم تتجاهلني وقالت شيئًا ما بعينها ، لم أتجاهلها وسمعت عيني شيئًا ما ، ها قد بدأ الحديث ، لم تكن تحدثني عن عملها وعلاقتها بشركتي ولم أسألها عن ذلك .... أربع ساعات باقية والصمت قرر أن يدوم ، فقط صمت الآذان وليس العيون ، عيوننا مسترسلة في كلام خاص جدًا ... أربع ساعات باقية والصبح قرر أن يعريها أمامي ويفرضها عليّ ، أضواء النهار تتسلل بشيطانية وتكشف لي عن وجه ، عن شعر ، عن كتف ، عن كف ، عن ساق ، عن وعن و ... عن كل شيء جميل ، الشمس تعلو وتعلو وهي تزداد جمالًا وروعةً وفتنةً .... إذن هل كان يجب أن أتركها وأمضي ؟

الركاب في المقدمة إما نائمون وإما نائمون ، هم بعيدون جدًا عن هنا ، عن الكراسي الخلفية ، أتصور أن أحدًا لا يتصور أن أحدًا ما ما زال في الخلف . أريد أن أجري مكالمة الآن ، ضروري ، أحتاجها جدًا ... مستحيل ، الوقت مستحيل ، لا ، التغطية اختفت في الشبكات الثلاثة ، البطارية تئن ، البطارية فارغة ، تختفي صورة خطيبتي الباسمة ، شاشة سوداء ... يرتعش جسدي فجأة ، أرتبك ، يسقط الموبايل إلى جانبي ، أنخفض ، أحاول التقاطه ، أمسكته ، لا ، ليس هو .. ناعم جدًا ، ناعمة جدًا ... تتصلب يدي ، أتركه ، أتركها ثانية ، يرتعش جسدي أكثر ، تسحب ساقيها بطيئًا - جارتي ، تتناوله وتقدمه إلي وتبتسم .. أشكرها، أتأسف ، أعرق ، تبتسم وتخبرني : "لا تبالي" ، ما زالت اللغة هي لغة العيون .

لم أسمع صوتها قط ولكن ... ولكني أراها تزداد وتزداد جمالًا بطريقة استفزازية ، استفزت رجولتي ، أنثى عنوانها الفتنة ، لم أتركها وأمضي ولم تفعل ، استسلمت لحظة لنعومتها ، ما أنعم هذا الشعر الذي لا يتورع بأن يركل كتفي إلى وجهي من حين إلى آخر.

لم أقاوم عيونها ، أريد أن أفسر شيئًا ما يستقر في قاعها ... استسلمت ولم أمضِ ولم تمضي ، من هذا الذي سلطها عليّ الآن؟ أهذا هو الوقت المناسب؟!

أريد أن أجري مكالمة الآن ، ضروري جدًا ، أحتاجها جدًا ... البطارية فارغة والشاشة ليست باسمة ، سوداء ... تخرج بطارية من شنطتها - جارتي ، تقدمها إليّ ، أضعها ، تبتسم الشاشة من جديد ، تظهر الشبكات الثلاثة ، لم أجرِ المكالمة ، وضعت الموبايل في شنطتي ، ركلتها بشدة مغتاظًا في أقدامها - جارتي، انتظرت ، ركلتني أيضًا ... دخلت الشمس إلى الأوتوبيس ، سحبت الستائر ، اختفت الطرق والرمال حولي ، هل عليّ الآن أن أمضي ؟

شعرها ما زال يستفزني ، يتعربد ، يمسح على وجهي بإصرار ، أزيحه بعيدًا ، ناعم جدًا ، طري شهي جدًا ، أقربه ، أملس عليه ، أتحسسه من أطرافه ، يشحن أناملي وجسدي بكهرباء عجيبة ، أتعمق فيه أكثر وأكثر ، أصل منبته ، أتحسس وجهها ، تنظر إليّ ، أقبض على رأسها بكلتا يديّ ، تواجهني عينها مباشرة ، أجذبها نحوي ، أتركها وشأنها ، تقترب مني وأقترب ، أقترب منها وتقترب ، أطوقها فتنهار برأسها على صدري ، تنظر لي من أسفل ، تبرُز شفتاها وردة تفرز رحيقها ، فراشة تغادر طور العذراء ، أكتشف الوردة ، أقبلها ثم أقبلها ، ينساب في فمي رحيق لم أتذوقه قبلًا ، تخترع المفاجأة لذة ملعونة تسري في كلينا ، أحتضنها وأعتصرها حتى تسترخي عضلاتها بالكامل .

لم أحاول المقاومة ولم تحاول ، تزداد نبضاتنا إلى الضِعف ويتجمع الدم عند رأس مشترك ، أنفاسنا تتزايد تصنع تنهيدة وصرخة مكتومة تحترق فتتراكم صفعة على وجهينا ، نستفيق ، أدفعها وتدفعني ، نتباعد ، أفتح الستارة ، أنظر إلى الخارج ، تخرج بسكويتها ، تأكل ، تخرج مرآتها ، تعدل وتساوي شعرها ، أخرج الموبايل ، تختطفه مني ، تكتب رقمًا ، تدوس اتصال ، صوت نغمة يخرج من شنطتها ، تناوله إليّ ، أخرج البطارية ، أعطيها إياها ، لم أشكرها ولم تتحدث عيني أو عينها ، أحاول النوم ، لا أستطيع ... ساعة وأصل ، لن نتحدث مطلقًا .

♣♣

لم تكن القاهرة مبتهجة أبدًا بوصولي ، لم أرَ الأضواء أو الاحتفالات مطلقًا ، حوادث كثيرة في الطريق والجثث في كل اتجاه ، تأخرت لنصف ساعة ، وصلت أخيرًا ، شخص غريب وقد تغيرت فقط منذ ساعتين ، أخي في انتظاري ، خطيبتي تهرول ناحيتي مبتهجة قلقة قليلًا ، سقط الموبايل مرة أخرى ، لقد تركته من يدي أو هو غادرني دون أن أراه أو أشعر ... التقطته خطيبتي .